الخطبة الأولى

أَيُّهَا الْمُسْــلِمُونَ: إِنَّ الإِسْــلاَمَ دِينُ الأَخْلاَقِ الْعَالِيَةِ، وَالأَقْوَالِ الْفَاضِــلَةِ، وَالْمُعَامَلاَتِ الرَّاقِيَةِ، فَقَدْ حَثَّنَا عَلَى أَنْ نَتَحَلَّى بِأَرْفَعِ الشِّيَمِ، وَأَجْمَلِ الْخِصَالِ وَالْقِيَمِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :« إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»، ومن الأخلاق العالية التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها خلق النزاهة.

وَالنَّزَاهَةُ مِنْ أَهَمِّ الصِّـفَاتِ وَأَجَلِّهَا، وَأَحْسَـنِ الأَخْلاَقِ وَأَكْمَلِهَا، فهي تدعوا للبُعْدِ عَنِ كل سوء، وَالتَّرَفُّعُ عَنِ كل نقَصٍ.

عباد الله : وأول من يُنزه عن كل نقص ويُمدح بكل كمال هو الله ســبحانه وتعالى، فإن له الكمال المطلق، وله الأسماء الحسنى التي كملت في حسنها، وله من الصفات أعلاها فلا يشابهه فيها مخلوق قال تعالى : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"، وكلما احتوى الذكر على تنزيهِ الله وتمجيدِه كلما ارتفع أجرُه وعلا قدرهُ قال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِى الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » ، فالتسبيح تنزيه لله تعالى عن كل نقص وســوء، والحمد إثبات الكمال لله تعالى، ولذلك ثقلت هذه الكلمات في الميزان".

وأهل السنة والجماعة منهجهم في هذا الباب العظيم: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ونعوت الجلال، دون تحريف

أو تعطيل، ودون تكييف أو تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب، ولا يتجاوزون في ذلك القرآن والحديث.

عباد الله : من مجالات النزاهة النزاهة في المال أخذا وإعطاء، وقد كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي نَزَاهَتِهِ وَتَرَفُّعِهِ خَيْرَ قُدْوَةٍ يُتَّبَعُ، وَأَفْضَلَ أُنْمُوذَجٍ يُحْتَذَى؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « إِنِّى لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِى فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِى ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا ». دل هذا الحديث على أن المسلم يتنزه عن الشبهات وما لا يعلم حكمه من حل أو حرمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك التمرة لخشيته أن تكون من الصدقة، والنبي صلى الله عليه وسلم لا تحل له الصدقة، لذا فقد حثَّنا صلى الله عليه وسلم على لزوم جانب الورع، وحَذَّرنا من خَوْضِ غِمار الشُّبهات؛ فقال: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» ، ويقول نبيُّنا صلى الله عليه وسلم مبيّناً النِّمارَ الطيّبةَ التي يَجْنِيها مَنْ يتَّصفُ بالعِفَّةِ والنَّزاهةِ: «ومن يستعفِف يُعِفَّهُ الله، ومن يستغنِ يُغنِه الله»

عباد الله : وَكَذَلِكَ مِنْ أَبْرَزِ صُوَرِ النَّزَاهَةِ التَّرَفُّعُ عَنِ الْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْمَشْبُوهَةِ، وَيُسْتَعَانُ عَلَى ذَلِكَ بِالْقَنَاعَةِ، فَهِيَ كَنْزٌ لاَ يَفْنَى، لِأَنَّ الإِنْفَاقَ مِنْهَا لَا يَنْقَطِعُ، وَكُلَّمَا تَعَذَّرَ عَلَى الْقَانِعِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا قَنِعَ بِمَا دُونَهُ وَرَضِيَ. يَقُولُ صلى الله عليه وسلم :« أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ».

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: وَالطَّهَارَةُ مِنْ صُوَرِ النَّزَاهَةِ، كَطَهَارَةِ الْبَدَنِ مِنْ أَدْرَانِهِ، وَطَهَارَةِ النَّفْسِ وَنَزَاهَتِهَا عَنِ النَّقَائِصِ، وَأَهَمُّ ذَلِكَ وَأَوَّلُهُ، وَأَعْلاَهُ وَمُقَدَّمُهُ: طهارة العبد من

أدران الشـرك، فإن الشـرك نجاسـة معنوية تصـيب القلب والبدن وإنما يكون التنزه منها بتحقيق التوحيد والإخلاص لله تعالى، ممتثلا قوله تعالى: " قل إِنَّ صَـــلَاتِي وَنُسُـــكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَـــرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"

ثم يسعى المسلم إلى طَهَارَةِ قلبه وَنَزَاهَتِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِ، مِنَ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالْكَرَاهِيَةِ وَالْبَغْضَـاءِ، وَقَدْ حَذَّرَنَا النَّبِيُّ صـلى الله عليه وسـلم مِنْهَا، وَحَثَّنَا عَلَى أَنْ نُنَزِّهَ قُلُوبَنَا عَنْهَا، وَوَصَـفَ لَنَا دَوَاءَ هَذَا الدَّاءِ فَقَالَ صـلى الله عليه وسـلم: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ».

عباد الله : مِنْ أَبْرَزِ صُـــوَرِ النَّزَاهَةِ وَأَشَـــدِّهَا أَثَرًا عَلَى الْمُجْتَمَعِ النَّزَاهَةُ فِي أَدَاءِ الْوَظَائِفِ ، وَذَلِكَ بِتَعَفُّفِ الْمُوَظَّفِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ؛ كالتَّعَفُّفِ عَنِ الْمِسَـــاسِ بِالأَمْوَالِ الْعَامَّةِ، فَهَذَا عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ تُسْـــرَجُ عَلَيْهِ الشَّـــمْعَةُ مَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَإِذَا فَرَغَ أَطْفَأَهَا، وَأَسْرَجَ عَلَيْهِ سِرَاجَهُ. أَيْ كَانَ يُضِـيءُ الشَّـمْعَةَ الْخَاصَّـــةَ بِبَيْتِ الْمَالِ طَالَمَا كَانَ فِي قَضَـــاءِ مَصَـــالِحِ الْمُسْـــلِمِينَ، فَإِذَا انْتَهَى أَضَـــاءَ مِصْبَاحَهُ الْخَاصَّ بِهِ.

وَلاَ يُقَصِّـــرُ الْمُوَظَّفُ النَّزِيهُ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبٍ، وَلاَ يُقْدِمُ عَلَى فِعْلِ مَحْظُورٍ، فَهُوَ أَنْزَهُ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ رِشْوَةً، أَوْ أَنْ يَأْخُذَ هَدِيَّةً مِنْ وَرَائِهَا مَآرِبُ أُخْرَى .

وَإِنَّ التَّـاجِرَ يَتَنَزَّهُ عَنْ أَنْ يَبِيعَ مَـا يَضُـــرُّ النَّـاسَ، وَلاَ يُغْرِيـهِ كَثْرَةُ الرِّبْحِ، وَيَقْتَـدِي بِالصَّــالِحِينَ، وَالتُّجَّارِ الصَّــادِقِينَ، فَيَفُوزُ بِبُشْـرَى رَسُـولِ اللَّهِ صـلى الله عليه وسـلم الْقَائِلِ:« التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّــدُوقُ الْمُسْـلِمُ مَعَ الشُّــهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَالنَّزَاهَةُ تَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ أَنْشِطَةِ الْحَيَاةِ، وَكُلُّ مَجَالٍ لَهُ صُوَرُ نَزَاهَتِهِ، وَمَظَاهِرُ عِفَّتِهِ. فَاللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا، وَزَكِّ نُفُوسَنَا، وَاجْعَلْنَا بِالنَّزَاهَةِ قَائِمِينَ .

الخطبة الثانية

عباد الله : إنَّ أعظمَ ما يحثُّ المسلمَ على الاتِّصافِ بالنَّزاهةِ والعِفَّة: حياءه من اطّلاعِ اللهِ العليمِ الخبيرِ عليه وهو يرتكب ما نهاهُ عنهُ وحرَّمه عليه، لذا حثَّنا نبيُّنا صـلى الله عليه وسـلم على الحياءِ من اللهِ تعالى، فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْـعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «اسْـتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ!». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُـولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْـتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ! قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْـتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»

ومن أشـدِّ ما يَحْملُ الإنسـانَ على تَرْكِ لزومِ سـبيلِ النَّزاهة والعِفّة: اللسـانُ والبطنُ والفَرْج.

فاللسـانُ إن لم يتصـف بالنَّزاهةِ عن الكذبِ والغِيبةِ والنَّمِيمةِ والخوضِ في الأعراض والتعدّي على المسلمين بالسِّباب والشتم وفاحش الكلام وغير ذلك أَهْلَكَ صاحِبَهُ، عن معاذٍ رضـي الله عنه أنَّ النبي صـلى الله عليه وسـلم أخذ بلسـانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

والبطنُ إن لم يتصـفْ بالنَّزاهةِ عن التَّغذي بالحرام من رِبَاً ورِشـوةٍ وسـرقةٍ وغُلولٍ وأكل لأموالِ اليَتامى ظُلْماً وغيرِ ذلك أَوْدى بصـاحبِهِ سـبُلَ الرَّدى، قال تعالى: "وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْـوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَـخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِـيرُ) وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْـلَوْنَ سَـعِيرًا) ، وعن عبد الله ابن عمرٍو رضـي الله عنهما قال: لعنَ رسولُ اللهِ صـلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي .

والفَرْجُ إن لم يتَّصـف بالنَّزاهةِ عن الحرامِ أَهْلَكَ صـاحبَه وأَرْداهُ، قال نبيُّنا صـلى الله عليه وسـلم: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا...[وذكر الحديثَ فكان مما قال:] فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ؛ فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا [أي: ارتفعَ زَعِيقُهم واختلط]، قال: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ؟!... قالا: أَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي...»